

فقد كانت يد حكيمة ، قائدة ، تسد مستقبله الأدبي . وكان يرد على إلحاح أمه إذ تطلب منه قطعاً رائمة : « لم يحن الوقت بعد . إنني أنعم صناعتى » وكان يكتب بزم دون كلل ، ويعرض كل سطر على فلوير ليصححه أو يكتبه له من جديد ، وما اشكى موباسان قط ولا كد نفسه

واستمرت تلمذته ثلاث عشرة سنة تلاها عشر من التقى والمجد . ولما تخلص من نخول الوظيفة ، وأصبح سمير الأبهاء الفرنسية ، تغطس للنجاح ، يبد أنه على أثر سقوطه النسبي كؤلف مسرحى اعتراه ذلك الأسى الذى ألقى ظلاً قاتماً على الجزء الأخير من حياته . (فالتكرار) وهى المسرحية التى كان بها جد نفور ، لم تمثل إلا بعد إحدى عشرة سنة من وفاته

وقد انتصر الكاتب على حساب « الحيوان كامل الصحة » ؛ فقد كان من مفاخراته أن يلقى بنفسه فى السين وهو فى لباسه ليدهش مواطنيه الباريسيين المتكافئ الاحترام ، وأن يصطاد فى الهواء والماء ، وأن يلاكم ويبارز بالسيف ، وأن يجوب البلاد والأمصار . إلا أن حياة الحيوان فى دى موباسان لم تكن فى واقع الأمر فى حدود الصحة ، فقد فرط فى قواء الجسدية ، وعبث بالصحة التى كان يقدرها فوق كل شىء . ولقد قدر «لثور بريتانى» كما كانوا يدعونه لضخامة جسمه أن يجلس فى تراخ فى الأبهاء بحكم عمله ؛ ومع حبه للأدب كان نظره الضعيف يعوقه عن القراءة . وفى شبابه كان فى سن تؤهله للاشتراك فى الحرب الفرنسية الألمانية عام ١٨٧٠ ، ولكن نفوذ من يهمهم مستقبله الأدبى كان سيباً فى تعيينه فى قسم المؤونة بمبدأ عن ممعة القتال . وكان كبترنديج يحتقر النساء ، ولكنه لم يكن يمتطع العيش دونهن

وكان فى أسرته جنون وراثى ؛ فبعد أن أصيب أخوه فى قواء العقلية ثم موته ، علم موباسان أنه محكوم عليه بتلك النهاية ، وكانت حالته ممقدة ، وأغلب الظن أنها لو فحست فى البداية لكان فى الامكان انقاذه . ولئن يعادل ما وضع من السخريات فى قصصه تلك السخرية التى أصابته فى السنين القلائل الأخيرة من سنى حياته ، حينما انحطت قواء العقلية بسرعة . وحقاً لقد كان استمراره فى الكتابة نتيجة لارادته الحديدية وقوته الشديدة !

## جى دى موباسان\*

١٨٥٠ - ١٨٩٣

بقلم محمد سليمان على

مباشر :

ربما ظل جى دى موباسان كاتباً خامل الذكر فى القسم المدنى الفرنسى طيلة حياته لولا إيجاء جوستاف فلوير . فقد اكتشف الرواى العظيم غايل التبوغ فى الطالب الذى كانت غايته من الحياة الدنيا على حد اعترافه أن يكون « حيواناً كامل الصحة » والذى أطلق وهو فى الثالثة عشرة على الدين اسم « اللاشىء الأبدى »

وكانت أمه تعتزم أن تجعل منه مؤلفاً نابهاً . وربما كان فلوير باعث هذا الأمل ، فقد كان يعرف لورا موباسان قبل زواجها من جوستاف دى موباسان الفتى المتألق الذى هجرها بعد أن جردها من كل شىء . وكان فلوير ولورا يتراسلان بلا انقطاع ، فكان يسدى النصح إليها فيما يختص بتربية ابنها هرفيه وجى . ولقد كان لها بمثابة الأب الناصح على تقيض أبيهما الذى كان يتجنب المسؤولية ويحب اللغو ، حتى حرم بأسرافه ابنه من فرصهما فى الحياة . ولقد كان (جى) وهو صبي « بكواد طليق فى أحد الحقول » ، وفى (البسيه امبريال نابليون) برع فى الرياضة والسباحة ، والنكات العملية الأنيقة ؛ وفى الثالثة عشرة كان فلوير يقرأ المحاولات الأولى فى الشعر لتبتناه

وبعد أن غادر موباسان المدرسة بدأ يدرس القانون ، غير أن المال أعوزته فلم يتم الدرس ، واضطر أن يلجأ إلى حى الوظيفة التى كانت غاية الوفاق والأمان عند أسر الطبقة الوسطى . وكان موظفاً قديراً . وظل سنتين عدة فى منصب مغمور ، يتناول مرتباً ضئيلاً لا يكفي رغباته المرفقة . ولكنه لم يتمجد لتعزير وسائله بالكتابة ، اللهم إلا بضع مقالات لجرائد ومجلات أدبية .

\* اعتمدنا فى هذه الكلمة على ما كتبه الكتاب والنقاد الانجليز :

« سومرست . » و « جيرالد جولد » و « سكارلين ويلسون . »

وفي ذات يوم وهو يناذر مكتبته التفت فأبصر نفسه ما زال جالساً إلى مكتبه هذا ، وزادت أحييته سوداً وأخذت أشكالاً خفيفة ؛ ولم يكن هناك أمل بعد ؛ غير أن الساحر الذي لم يكن يمتقد في فضيلة من الفضائل ظل يبالغ الأمل ، وفي الدرجات الأخيرة من مرضه كتب إلى أمه يخبرها أنه في تحسن ظاهر : فالمقل في داخلته ما زال يستطيب الحياة ويقدر الشمس والسباحة والرياضة

وحاول بمونة فرانسوا خادمه الأمين الذي ظل سنوات عدة صديقه المخلص أن يفر من النساء المعجيات به اللاتي لم يتحققن أنه هالك ، ولا سبباً إحداهن وهي امرأة غامضة ؛ وقد حاول بعد زيارة لجائية منها أن يطلق الرصاص على نفسه ، لكن فرانسوا اليقظ كان قد اتخذ الحيلة فأخرج الرصاص من الفدارة . وبعد محاولة أخرى للقضاء على حياته نقل إلى مستشفى المجانين حيث ظل في راحة لا يذكر شيئاً ولا يحس شيئاً سوى تلك التأملات المهمة التي يراها من فقد قواه العقلية بلا أمل

فمن :

لو اطلع إنسان على نخبه من قصصه دون اللام بالتواريخ والأحوال والنظريات ، لاستطاع دون عناء أن يستنتج أنه كتب حين كانت مرارة الهزيمة في حرب السبعين ما زالت تلقي على فرنسا ظلاً مبوساً ، وأنه كان رجلاً مكنته وسائله وأخلاقه من الاختلاط بالأوساط الخاسية إلا أن النصيب الأعظم من عطفه الفرزي كان للفلاحين والفقراء ، وأنه كان مشغولاً بمضلة البقاء ، وأنه مع كل عظمته كفنان كان في استناره تلك المضلة لمؤثرات عاطفية ظاهرة يهبط أحياناً إلى درجة الاستغاف

وقصص موباسان جيدة . فاللوضوع جذاب مشوق حتى ليجذب الانتباه لو حكى على مائدة الأكل ، وهذه مزية يمتد بها ، فها كانت كلماتك متقطعة ، وسردك فآراً ضميماً ، فلن تخفق في إثارة اهتمام سامميك إذا قصصت عليهم القصة العارية في « بول دي سوبف » أو « الميراث » أو « القلادة » فهذه القصص لها بداية ولها وسط ولها نهاية . فليست تهم في خط متردد لا تستطيع أن تعرف أين تنقاد ، ولكنها تتبع من المقدمة إلى النهاية منحنيًا قويا جريئًا

وربما خلت قصته من المعنى الروحي . ولم يرم موباسان إلى ذلك ، فلقد كان ينظر إلى نفسه كرجل عادي . ولم يدع الفلسفة وحسناً فعل ، لأنه حين يندفع في التأمل يصبح سطحياً . ولكنه مبدع في حدوده . وحقاً لقد كانت له مقدرة عجيبة في خلق أشخاص يزخرون بالحياة ؛ وقد يضيق بالإيجاز ، ولكنه يستطيع في صفحات قليلة أن يعرض أمامك سمة من الرجال في صورة واضحة حتى إنك لتعرف كل ما تحتاج عنهم فضلاً عن أن حدودهم ظاهرة ، ومزاييم واضحة ، وأنهم يتنسجون أنفاس الحياة ، وقد خلوا من التعميد ومن التردد ومن المفاجآت ومن النموض الذي نراه في الأدبيين

فصور أشخاصه بسيطة إلا أن هذه البساطة غير متعمدة ، فسيناه الحادمان كانتا تريان بوضوح وإن كان على عمق غير بعيد . ولقد كانت فرصة سعيدة أن تريا ما هو ضروري للفكرة التي يرمى إليها . فهو حقاً يضع عينه على المرعى الذي نصبه أمامه ، ولكنه ما كان يستطيع أن يرى أكثر من مرعى واحد في وقت واحد . فالنظر الواحد ، والجو الفاجيء ، والباعث القاهر ، كانت قوام مادته . وهذا هو السبب في أنه لم ينجح في القصة الطويلة كما نجح في القصيرة . ويقول موباسان : « الفنان يحاول أن ينجح أو ينجب ، والناقد لا يحق له أن يقدر النتيجة دون أن يتبع طبيعة المجهود ، وليس له الحق في أن يشغل بالمؤثرات . » ولما كان يفرق بين الخيالي والواقعي ، كان يعبر على أن الواقعي يجب أن يكون « أكثر كلاً ، وأشد تأثيراً ، وأتم انطباقاً ، مثل الحقيقة نفسها . » وهو كمن سبقه من الكتاب الناصحين لم يكن خيالاً غصب ولا واقعياً غصب ، ولكن كان الاثنين معاً ؛ وكانت عبقريته في أن يرى ما في الحقيقة من ابتداء

وتمتاز كتابته أيضاً بصحة وطلاوة وبساطة من الصعب تحليلها ولكن من السهل فهمها . وليس معنى ذلك أن سهولة فهمها للأجنبي تجعلها سهلة الترجمة . فالواقع أننا نجد أن أسهل الأعمال في كل لغة أصعبها في النقل ، فقراءة هوميروس أسهل من قراءة ( ماسي أئينا ) إلا أنه لم ينجح في نقل هوميروس الشاعر الساحر إلى الآن أحد . وموباسان يبالغ المحيط بنفس البساطة ، فهو يضع منظره بدقة واختصار وتأثير ، فإذا كان يصف طبيعة

يوضحه ، أننا في النهاية نجد لم بصور الحقيقة وإنما غيرها ؟  
 فإذا سما بهذا التمييز نحو الجمال فقد نجح ، وإذا انحط به إلى القبح  
 فقد أخفق . وكان موباسان فناناً مجيداً لدرجة تسود به عن  
 الاسفاف المطلق ، فأنا أرخص قصصه له ، بيزة الابتكار ، ولكننا  
 نرى النقاد في بعض الأحيان قد بالغوا في مدحه ، ومع محاولته  
 أن يكون طبيعياً نجده أحياناً يهبط إلى القيود البيانية ، ويسمح  
 أحياناً بالمواطف الزائفة

ولقد كان غالباً ما يبدأ قصصه بمقدمة يقصد بها أن يريء  
 القارئ حالة عقلية خاصة ، وهي طريقة خطيرة إن لم تنجح  
 فقد تكون مملة ، وقد تحمل القارئ بعيداً عن الأثر . ولقد كان  
 يختار أشخاصاً عاديين ، ويحاول أن يظهر ما في أعمالهم العادية  
 وحياتهم من الفواجع ، وكان يختار الحادث الذي لا أهمية له  
 ويخرج منه كل ما يستطاع من المواقف المؤثرة ، وهي طريقة  
 تساعد على خلق الانتباه للقصة . وكان يكتب ويفرط في الكتابة ،  
 وكان أيضاً يتخذ موضوعاً متشابهاً حتى ( بول دي سوفي )  
 التي سببت شهرته تعطينا مقارنة سهلة عادية بين الرحلة التي قام بها  
 بعض البجولين هرباً من عقاب البروسيين وقد أحسوا بقرص  
 الجوع العنيف فسرهم أن يشاركوا البني المسكينة زادها ، وبين  
 الرحلة الأخرى بعد أن أغروها بشتى الوسائل من حيلة ورجاء  
 على ارتكاب الخطيئة مع الضابط الألماني تلبية لطلبه ، حتى  
 إذا قبلت التضحية على مضض شديد ، أبدوا لها ازدراءهم وترفعوا  
 عن دعوتها لمشاركتهم الزاد في الطريق بعد أن نالوا الأذى  
 باستئناف المسير

ولقد وجد قادة النقاد أن قصص موباسان وإن لامت  
 نبوغه لا تصلح على الرغم من مظهرها الخادع لأن تكون أعموداً  
 مثالياً للغير . وقد كان مع حيوانيته وشهوته يعرف رقة الحب  
 التي . انظر على سبيل المثال قصته « ضوء القمر » ففيها ترى  
 الكاهن الذي يكره النساء وهو ذاهب لكي يفاجئ ابنة أخيه  
 وعشيقتها ويجازيها شر الجزاء ، يذهب إلى ضوء القمر اشاحب ،  
 ويذهل بين الغمام والبلابل ، وحين يرى الحبيبين يخطران في تلك  
 الجنة الفيحاء ، يقول في نفسه « ربما خلق الآله القادر ، هذه  
 الليالي السواحر ، لكي ياتي غلالته القدسية على الحب البشري »  
 محمد طه

نورمانديا الفاتنة ، أو أبهاء القرن الثامن عشر ، فهو في الحالين سواء  
 وكان من أتباع المذهب الطبيعي يرى دواماً إلى الحق ، غير  
 أن الحق الذي كان يتوصل إليه به قليل من الزيف . فلم يكن  
 يحلل شخصياته ، ولا يهتم بالأسباب الدافعة . فهم يتصرفون  
 ولكنه لا يعرف إلى أي نهاية . وفيما يلي تعليقه على حد قوله :  
 « في رأي أن التحليل النفسي في قصة طويلة أو قصيرة معناه  
 هذا : أن أظهر الرجل الداخلي من حياته » حقاً هذا جميل ، بل  
 هو ما يفعله القاصيون أجمعون ، ولكن الحركة لا تدل دواماً  
 على الباعث . والنتيجة عند موباسان كانت تبسيطاً للشخصية ،  
 وهذا له أثره في القصة القصيرة ، ولكنه عند إعمال الفكر  
 يترك غير مقتنع . وإذذاك تقول إن في الرجال من يفوق ذلك .  
 هذا وقد كانت تملكه الفكرة المنتشرة بين مواطنيه إذ ذاك ،  
 وهي أن الواجب على المرء لنفسه أن يتصل بأي امرأة دون الأربعين  
 تصادفه . فأشخصاه تسار رغباتها الجنسية لكي ترضى احتراها  
 لنفسها . فهم كمن يأكل لونها من الطعام دون احساس بالجوع  
 ولكن لأنه غالي الثمن

قلنا إنه كان تلميذاً وصديقاً لفلووير . وكان التلميذ يتقبل  
 آراء أستاذه في مواضع عدة ؛ وكان يعتقد أنه بما كيه في  
 مجهوداته الجبارة في الانشاء . إلا أنه من الصعب أن يتفق ذلك  
 وسهولة أسلوب موباسان ؛ على أن الحقيقة التي لا مرء فيها هي  
 أن الانشاء الفني كان عند فلووير نصباً وعناء . ولما كان موباسان  
 قد مات في شرح الشباب ، فمن المحتمل أن ننسى أحياناً أنه لم يكن  
 تلميذ فلووير بحسب ، إنما كان تلميذاً لدوديه وزولا وأتقوا فرانس  
 أيضاً . ومن البعث القول بأن هؤلاء الكتاب الكبار كانت لهم  
 طريقة مشتركة ، سواء من الوجهة النظرية أو العملية ، ولكن إذا  
 تكلمنا على وجه العموم دون تقييد فقد نستطيع القول أنهم يمثلون  
 الحركة المتجهة نحو الدقة والواقعية . فالتنقيب عن الكلمة الملائمة  
 أكثر من سواها ، والقول بأن الفنان ينبغي أن يسدد نظره إلى  
 الموضوع ، والأقبل القيس العامة لتنظيم التقديرات الشخصية  
 كانت ميول المدرسة والوقت . والدقة الجميلة في عمل فلووير  
 تدن لبده وطريقته ، على حين أن أدب زولا الواقعي كان في  
 الحقيقة منتخبات من أجزاء من الطبيعة أثار اهتمامه أكثر  
 من سواها . وبعد ، أليست ماهية الفنان وعمله هما حاول أن